التى تجلس فى المقعد التالى مباشرة، لاحظت المتغيرات فى التحية المتبادلة. مرة تكون اليد مفرودة الأصابع، مضمومة، مرة أخرى منفرجة، أحيانا مستقيمة أو منحنية. تلتقى نظرتهما للمحة، خلالها يحدث التبادل البليغ، يحاط عم شرف بالأحوال كلها، ويعرف ذا البلغة الزعفرانية المغربية ما يجب أن «يتبع، وما يمكن حدوثه، والأصول الواجبة.

هكذا.. بدون نطق أو تبادل لفظ، ليست الحالة الوحيدة، على كافة الطرق التى قطعها أقام مثل هذه العلاقات، وأنشأ تلك الصلات، وعشق من لم يجلس اليهن ولم يلمحهن إلا لحيظات مارقة، لكنها حوت التساؤلات والأجوبة، والإيضاحات الممكنة.

ذات صباح تمهل، من انحناءة ظهره أدركت سعدية أن أمرًا جرى، المتجر مغلق، فى اليوم نفسه طلب من البروفيسور إعفاءه من هذا الخط، حاولت سعدية التدخل لاثنائه عن قراره، توسلت إليه، إذ أبدى صبرا جميلا خلال نزولها وعودتها بأطفالها الثلاث كان ذلك يوفر عليها جهد توصيلهم ونفقات عربة المدرسة، وقلق الانتظار، لكنه واجهها بعينين صارمتين، حزينتين، لن يمر بالطريق الذى خلا من صاحبه هذا. ولن يقصد الناحية، الغريب أن البروفيسور لم يخيب له مطلبا، بشكل ما كان يستجيب إليه. ربما لبركة غامضة أو لأسباب تتصل بطول المدة.

على الطريق المؤدى إلى مدينة رشيد بيت وحيد، تبرز مقدمته المثلثة حادة بشرفاتها الغريبة المدببة، لا يعرف أى إنسان العلامة التى كانت تدفع هذه المرأة التى شاع أمرها إلى الظهور فى الشرفة الأولى بمجرد اقتراب عم شرف.